-المحاضرة السابعة-

٤- خصائص النقد في العصر الجاهلي:

أوّلًا: الذوق الفطري:

يعتمد فيه ذوق الشاعر وسلامة سليقته، فلم تكن للنقد أصول معروفة أو متّفق عليها، ولم تكن له مقاييس مقرّرة. كما لم يكن ممنهجًا، بل كان مجرّد لمحات ذوقية ونظرات شخصية تقوم على ما تلهمهم به طبائعهم الأدبية وسليقتهم العربية، وأذواقهم الشاعرة، وحسّهم اللغوي الدقيق بلغتهم، وإحاطتهم بأسرارها ووقوفهم على ما للألفاظ من دلالات وإيحاءات في شتى صورها.

ثانيًا: الارتجال في الحكم:

بعد أن يتذوّق الناقد الشعر يصدر حكمه إما ارتجالًا أو بعد رويّة ليرصد مواطن الجودة أو الرداءة، وسمة الارتجال هي السمة الغالبة في النقد الجاهلي، حيث لا وجود لرأي معضد بالبرهان والحجة.

ثالثًا: الجزئية:

لم يكن النقد يتتبع النص الأدبي كله، بل كان يعالج جزئيات من القصيدة كجانب الألفاظ أو جانب المعاني أو جانب الوزن.

رابعًا: العموم:

كأن يطلق الناقد أحكامه لصالح شاعر ما بالعموم من دون أن يذكر سببًا أو يردف عليه، من ذلك حكم الحطيئة حين سُئل من أشعر العرب فأجاب: أشعر العرب الذي يقول:

ومن يجعل المعروف من دون عرضه يفرهُ ومن لا يتقِ الشّتمَ يُشْتم

يقصد زهيرًا .. ومن ذلك حكمهم على مجموعة من القصائد أيضًا، بأنّها بالغة منزلة عُليا في الجودة مقارنة مع غيرها، كحكمهم على قصيدة سويد بن أبي كاهل اليشكري التي مطلعها:

بسطت رابعة الحبل لنا فوصلنا الحبل منها ما اتسع

بأنّها من خير القصائد، بل بلغ الأمر بهم إلى أن أطلقوا عليها (يتيمة الدهر).

خامسًا: الإيجاز:

فالناقد كثيرًا ما يغلّف حكمه النقدي بتعبير موجز يوضّح موقفه من دون شرح أو تفصيل. فطبيعة الأحكام النقدية في العصر الجاهلي اتّسمت بالانطباعية والتأثير الذاتي، واعتمدت تذوق الشعر اعتمادًا كبيرًا من ذلك نقد طرفة لشعر المتلمس حين قال(استنوق الجمل)، فهذا تعبير موجّز يحمل حكمًا نقديًّا عاب به على شعر المتلمس الذي أضفى صفة الناقة على الجمل.